

عبدالله بن سعود آل معدي



الهجرة إلى الآخرة

(رسالة في الوعظ)

خطب النبي —صلى الله عليه وسلم - يوماً في أصحابه، ووجهه وجه المشفق، وقلبه قلب الوجل، فانطلقت منه كلمات كالسهام نحو قلوب صحابته —رضي الله عنهم ، قال:

"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون..."حسنه الألباني.

يعني لو كنتم يا أصحابي تعلمون عن ما أعده الله من النكال والعذاب والأهوال والأوجال ما علمه نبيكم - صلى الله عليه وسلم- لتغيرت أحوالكم ومعيشتكم



وتعاطيكم مع هذه الدنيا. فكيف كان وقع هذه الخطبة على الصحابة -رضوان الله عليهم- ؟ " قال: فغطى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجوههم لهم خنين" رواه البخاري.

يقول هذا وهو —صلى الله عليه وسلم- يعلم أن الإيمان فيهم أمثال جبال تهامة رسوخاً وعلواً.

إن تلك الموعظة تعني:

لو كان أهل المدينة يعلمون ما علمه - صلى الله عليه وسلم - من أمر الآخرة لقَل أن ترى في طرقاتها ضاحكاً - هذا لو سلمنا بكثرتهم - .

ولربما خلت أسواقها ومنتدياتها وما غشيها أحد منهم ؟ لاختلائهم في زوايا بيوتاتهم يبكون على حالهم.



ولربما خرجت المدينة رجالاً ونساءً صغاراً وشيوخاً إلى الطرقات، واجتمعوا فيها مخبتين ضارعين متوجهين بأكفهم ووجوههم إلى السماء يبتهلون ويدعون، كل ذلك هلعاً من الأهوال والعذاب.

إنها الآخرة يا رجال.

إنما الآخرة.

لك أن تتساءل - بعد هذا - :

ما الذي سيقوله -صلى الله عليه وسلم- لو خرج علينا اليوم ؟!

أسأل هذا السؤال وهذا العالم غارق في دنياه حد الآذان.. وتلك الممالك والدول تموج بشهواتها على سكانها.. وهاتيك البشرية تركع لأهوائها بكرة وعشية — إلا ما رحم ربك -.



إنما الآخرة.. لوكان لنا قلوب.

الآخرة.. التي لو اطّلع عليها أحدنا ثم عاد؛ ما هنأ بعيش، ولا طابت له حياة.

الآخرة.. التي لو قُدّر ورأينا فيها أحبابنا الذين سبقونا إليها وما آلوا إليه من نعيم أو عذاب؛ لما رفعنا لقمة إلى أفواهنا ولا استسغنا شربة في حلوقنا؛ إما فرحاً لهم أو حزناً عليهم.

إنها الآخرة.. التي لو نادى منادٍ من هناك لما وجد خيراً من أن يقول: ﴿ يَتَأَيُّهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعَدَ ٱللَّهِ حَقُّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ ٱلْحَيَوْةُ اللَّهُ عَلَيْ أَلَا تَغُرَّنَكُمُ ٱلْحَيَوْةُ اللَّهُ عَلَيْ أَلْكُمُ الْحَيَوْةُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ الْعَرُورُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُولَا الْمُعْلَمُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

إذاً قوِّض حيام الدعة، وناد قلبك للرحيل، واحزم أمتعة الخيال، ولنرتحل متون هذه الأسطر، لتسير بنا في دجى هذا السرد الوعظي؛ ونمر فيه ببعض الأحداث والوقائع





التي ستقطع علينا الطريق في هجرتنا إلى المستقر الأخير، فلعله عند الصباح يحمد القوم السرى.

الفناء:

على أطراف الحياة البشرية، وفي يوم ما، في ظل هذا الكوكب الصاخب، وهذا الوجود الغارق في الضجيج، وأولئك البشر السادرين في دنياهم، وتلك الخلائق النائمة في أحضان الغفلة، سيأتي يوم ينتفض فيه كل ذلك بنفخة واحدة تجتاح الكون في لحظة، تأتي على أول هذا العالم وآخره، فلا يبقين حيٌّ في مدر ولا وبر إلا وصمت العالم وخلعت قلبه، وأردته جثة هامدة.

هناك: تتوقف الحركة.. وتخفت الضوضاء .. وتنشل الحياة.

الصمت يغمر الوجود.



لا أحد هنا..

زالت الممالك.. وفنت الدول.. وحارت القوى.. وتوارت الخلائق عن الأنظار.. ولم يبق إلا العزيز الجبار:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ ﴾ القصص: ٨٨

تصور أنك تسير في ذلك الوقت وحدك، والصمت يجثم على كل ما حولك، تتلفت فليس إلا الخراب الذي عم وطم، تنظر فلا ترى إلا قرى خاوية بعد أن كانت مفعمة بدنياها، تشاهد فليس إلا البيوت الخالية إلا من جثامين أهلها المتناثرين في أفنيتها وعلى عتبات أبوابها!

إنها صيحة عظيمة مهولة، نفخة إسرافيل الذي كان قد التقم الصور من أمد بعيد، أمره الله بالنفخ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الذمر: ٦٨



صور لنا القرآن مشهداً من مشاهد البشر الذين تقع عليهم تلك النفخة، صورهم شغوفين بدنياهم، يعيشون حياتهم كأي يوم منها، تزدحم الطرقات بهم، وتروج الأسواق ببضائعهم، ويختلفون حول سلعةٍ ثم يختصمون، وترتفع الأصوات عليها، فبينا هم كذلك.. وفي لمح البصر.. ودون مقدمات.. إذ بغتتهم نفخة سماوية صاحبة مدوية.. خرّت - بضخامتها - عليهم من فوقهم.. فأحالتهم جثثاً هامدة.. يتساقطون واحداً تلو الآخر أو ربما تساقطوا جميعاً في لحظة واحدة.. فكان لارتطاماتهم دوي يفزع النفوس، ويشد العيون.

يبين لنا القرآن في هذا المشهد أن هؤلاء لم يستطيعوا الكمال خصوماتهم، ولم تمهلهم النفخة أن يوصوا بإرثهم أو حتى فقط يخرجوا من أسواقهم



ويرجعوا إلى أهلهم: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَنَجِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ وَهُمُ وَمُ وَهُمْ وَمُومِنَا وَالْمُ مُ وَهُمْ وَالْمُ وَمُ وَالْمُ وَالْمُ وَالْمُ وَالْمُ وَالْمُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُ وَالْمُومُ وَالْمُ وَالْمُومُ والْمُومُ وَالْمُومُ وَلَا لَمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُومُ وَالْمُو

كان الناس قبيل تلك النفخة الصاعقة يعيشون حياتهم كالمعتاد، فمنهم متبايعان أمسكا بثوب ليتساوما في قيمته فإذا بالنفخة تأخذهم قبل أن يتبايعاه بل قبل أن يطوياه، ومنهم من حلب ناقته وتوجه بلبنها ليسقيه أهله فتخطفه الصيحة قبل أن يصل إليهم، بل إن منهم من يرفع لقمته فلا تصل إلى فيه إلا وقد انتثرت بجانبه لأن الصيحة التي أردته هالكاً كانت أسرع. (كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري).

هذه بعض من مشاهد بعض البشر في هذا العالم، فماذا عن الآخرين الذين ازدحمت بهم المساحات الهائلة في هذا الكون؟ فماذا عن بهائم ووحوش اكتظت بها براري



العالم؟ وعن طيور حائمة في سماوات الدنيا أو في أوكارها؟ وعن أسماك في بحار الأرض وأعماق المحيطات ومحاري الأنهار؟ وعن حشرات على أوراق أشجار الغابات وزواحف بين رمال الصحاري؟ كيف وقْعُ هذه النفخة عليهم؟!

بل كيف وقعها على الملائكة العظام الذين أطت السماء بهم لكثرتهم وعظمة خِلقتهم؟!

وكيف وقعها على تلك الأعداد الهائلة من الخلق، ما علمنا منها وما لم نعلم؟!

يا الله!

فالوجود - بعد تلك النفخة المرعبة - في صمت مطبق.. وسكون رهيب..

لا حراك..





باد الأحياء.. وفني الخلق..

لكن المؤمنين، بل من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان في مأمن من تلك النفخة، لأن الله يرسل قبل النفخة ريحاً شمالية تقبض أرواحهم. (من حديث طويل رواه مسلم) البعث:

وبعد أن يمكث الموتى في مخادع الأرض الضيقة المظلمة أعواماً وربما آلافاً مؤلفة من الأعوام نعيماً أو جحيماً، وبعد أن انسلخت جلودهم، وتساقطت لحومهم، وتفتت عظامهم، وأكلت الأرض أجسادهم، يأذن الله — سبحانه — بنفخة أخرى تخترق أطباق الثرى لتقرع أسماعهم.

هناك.. وفي تلك اللحظة تحت أديم الأرض: كم من رفاتٍ يتلملم.. و أعظم تتراكب.. ولحوم تبنى.. فتعود



الأرواح إلى أجسادها، وقد كانت الأجسام مُزقاً صغيرة متآكلة ضائعة بين أكوام التراب وهوام الأرض.

مرت بهم سنون ومدد شاخت من الطول ولكن الله — عز وجل— صور في كتابه ذهول المجرمين من سرعة جري تلك الأزمان الطويلة التي قضوها؛ حتى أقسموا — يقيناً — أنهم ما لبثوا إلا جزءًا قصيراً من يوم واحد فقط، أقسموا أنهم ما لبثوا إلا ساعة! : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقُسِمُ السَّاعَةُ يُقُسِمُ الروم: أَلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةً كَنَالِكَ كَانُواْ يُؤَفَكُونَ ﴿ الروم: ها عنها: الله عنها: على السنين فوق الأرض وتحتها قالوا عنها: ساعة!

آخرون صور القرآن مشهدهم في لقطة سريعة بعد نفخة البعث فقال: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الْعَلَا عَلَا عَ



صاعقة، أو يُواجه بمصيبة قاصمة، أو يُقابل بمواقف قاسية، فينعقد لسانه، ويهرب كلامه، ويظل فاغراً فاه من الذهول، لا يبق فيه إلا عيناه مشدوهتان مصوبتان نحو مصدر الفزّع، فكيف بيوم تشخص فيه أبصار تنظر: فإذا الأرض غير الأرض والسماوات، والبشرية قامت عن بكرة أبيها من مراقدها؟!

انظر إلى الطفل حين يولد، فلو كان يدرك لعلم أنه وفد إلى دار غريبة، بها خلق كثير بعدما كان لوحده، ولو نظر لنفسه فسيرى ضعف قدرته، وقلة حيلته، وذله المهين، وضعفه البين، وأنه لا يعلم ما الذي يحدث الآن ولا ما الذي سيكون بعد، لا يملك من أمره شيئاً، لا مال ولا حاه، ولا ثوب يكسوه، بل بلغ به الضعف أنه لا يملك



حتى الكلمة الواحدة ليعبر بها عما يريد. ألا إن حال العبد يوم البعث أشد!

لقد شهدت الدنيا بعثاً لميتين، وإحياءً لهم بعد مئات السنين، كآية تنطق بقدرة الله -جل وعلا- وعظمته وحكمته، فها هو القرآن يسرد لك أخبارهم، فإن شئت فاقرأ عن الذي ﴿ مَكَّر عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْي - هَنذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامِرْتُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِرٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِأْتَةَ عَامٍ فَٱنظُرُ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَـةً لِّلنَّاسِ ۗ وَأَنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ ﴿ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ ﴿ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ البقرة: ٢٥٩. أو امض بركاب الفكر نحو سورة الكهف وأنخ مطاياها هناك، واتل حبر الذين لبثوا ﴿ فِي كَهْفِهُمْ ثَلَاثَ مِاْنَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ۞ ﴾ الكهف: ٢٥ فبقوا أعواماً تبدلت فيها أجيال، وتعاقبت فيها دول، وتقلبت فيها أمور، ثم بعثهم ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَابِلُ مِّنْهُمْ كُمْ لِيَتُكُمُ قَالُوا بِيَنَهُمْ قَالَ وَاللَّهُمْ قَالَ وَاللَّهُمْ اللَّهِ فَاللَّهُ اللَّهِ فَاللَّهُ اللَّهِ فَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّلَّاللَّ اللَّلَّا الللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

الحشر :

ذلك اليوم يوم يُجمع فيه الناس ويشهده أهل العالم العلوي والسفلي، فبعد أن انشقت الأرض عن الأولين والآخرين، يجمعون كلهم عن آخرهم: ﴿ قُلْ إِنَ ٱلْأَوَلِينَ وَالْآخِرِينَ، يَجمعون كلهم عن آخرهم : ﴿ قُلْ إِنَ ٱلْأَوَلِينَ وَالْآخِرِينَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله



كل الأولين والآخرين يساقون سوقاً إلى أرض المحشر.. أممٌ تلو أمم.. وبمقاييس الدنيا: لو اعتليت لتنظر فلن يأتي البصر على آخرهم، بل ربما تمرم على تلك الحالة ولم يأت آخر فوج منهم.

ها هم يسيرون مذعورين.. عصر الخوف قلوبهم.. وعصفت الحسرة صدورهم.. أجناس مختلفة.. وألوان متباينة.. وألسن مغايرة.. وأعمار متفاوتة.. تساوى الناس: مترفون وفقراء، ملوك وعامة، ظالم ومظلوم، سجّان ومسجون، قاتل ومقتول، متغطرس ومتواضع، مريض ومعافى، أصحاب الشرف والمدفوعون بالأبواب، المتدينون والفساق، المستهزئون بوعده هذا والمصدقون: المتدينون والفساق، المستهزئون بوعده هذا والمصدقون: ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًا ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴿ وَمُ مِرِيمَ عَمَدِ اللهِ وَمَ الْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴿ وَهُ مِرِيمَ عَمَدًا وَالْمَدَوْنَ وَالْمَدَوْنَ وَالْمَدَ وَالْمَدَوْنَ وَالْمُ مَا يَتِهِ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴿ وَهُ مُرِيمَ عَدًا اللهِ وَهُ مُرَاتِهِ وَمُ الْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴿ وَهُ مُرْتِهِ وَمُ الْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴾

هل رأیت أسری الحرب کیف یسیرون مقیدین مطرقین من الذل، کست المهانة وجوههم، وانطفأت عزتهم، وانکسرت أنفتهم؟! إذا رأيت ذلك وعلمت أن هذا ذل إنسان من إنسان في الدنيا، فكيف بذل البشرية لله رب العالمين يوم الحشر؟!

مثّل لنفسك وأنت ترى أولئك العباد وهم يمشون منكسرين، لا تسمع صوتاً منهم أبداً إلا وقع أقدامهم على الأرض: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصَّواتُ لِلرَّمْنِ فَلا تَسَمَعُ إِلَّا هَمْسَا ﴿ على الأرض: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصَّواتُ لِلرَّمْنِ فَلا تَسَمَعُ إِلَّا هَمْسَا ﴿ على اللّهِ على اللّهِ اللّه على اللّه اللّه اللّه الله الله الله الله على عدراتهم؟ أم يتأسفون على فجراتهم؟ أم يندمون على فجراتهم؟ أم يتمنون الرجوع لدنياهم حتى يزدادوا في طاعتهم؟

ولا تظن أن الناس يحشرون بأثواب وسرابيل، لا والله، بل يحشرون يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً، فلا يأبحون لذلك؛ لاستهانتهم به؛ ولكونه لا شيء أمام تلك الفظائع التي



فإذا قدمت تلك الجموع من شتى الأجداث والمراقد في بقاع الأرض بعد البلى والفناء .. ووصلت أرض المحشر أفواجاً أفواجاً. يزدحم الموقف.. ويتراصون حتى تلتصق أجسامهم ببعض.. ويتدافعون فيما بينهم.. فلا يملك



أحدهم إلا موطئ قدميه، فلا مجال للبحث عن مكان أوسع، أو هواءٍ أطلق.

لقد شهدت موقفاً في الحج لا أنساه، رأيت فيه صورة مصغرة لذلك الزحام الشديد يوم القيامة، ذلك أنه عند رمى الجمرات في اليوم الثاني عشر، والجميع يريدون الرمي للتعجل، صادف أن اخترنا مكاناً وزماناً غير مناسبين، وجرّنا الزحام حتى صرنا في لججه، تنظر من أمامك فليس إلا البشر، ومن خلفك كذلك، ومن الجهات الباقية أعظم من ذلك، وإذا بك لا تملك إلا موضع قدميك، ولا تملك أن تتحرك أو تنتقل من مكانك، فإذا تمايل الذي هناك فهذا يعني أن موجةً من التمايل ستأتيك، فإنه السقوط لا محالة إلا أن تحذر، وذلك يعني الوفاة أو قريباً منها.



كان الناس في فزع وشدة، صراخ وتكبيرات، حر شديد، وعرق يسيل، لا قوي هناك، تساوى الضعفاء مع الأقوياء، هكذا كنا لمدة تزيد عن الساعة فقط وبلغ بنا الخوف مبلغه، فكيف بيوم كان مقداره آلاف السنين والأعوام!

هذا وإن الأمر يوم القيامة لا يتوقف على حشر البشر! فبينا الناس في معمعة الزحام الشديد لم يرعهم إلا تلك الوحوش والطيور والبهائم والدواب تندفع إليهم، وهي كذلك مثلهم أمم تلو أمم، ولربما ملأ الفوج منها الأفق الرحيب، فيكتظ الموقف، ويزداد الزحام، وتغص أرض المحشر من جديد: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ طَهْمٍ يُطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ الْحَشْر من جديد: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ طَهْمٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أَمُّمُ أَمْنَالُكُمْ مَّا فَرَقَطْنَا فِي ٱلْكِتَبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبّهم يُحْشَرُونَ ﴾

فالعدالة هناك ستضرب بأطنابها على كل من تنفس فوق الأرض؛ ليظهر الله عدله أمام العالم.

والآن:

كُلُّ خلقِ الله جِيء بهم..

لم ينقص منهم أحدٌ أبداً.

الأهوال:

وبعد الحشر تبدأ الأهوال تعصف وتدمدم، ف ﴿ يَمَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿ آ ﴾ الحج النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ أَإِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿ آ ﴾ الحج التعال وشاهد شيئاً يسيراً من زلزلة ذلك اليوم:

إنه حين يكتمل الجمع، وينتهي مشهد الحشر، تبدأ الأهوال تنخرط عليهم بغتة، فأولها دنو الشمس من رؤوسهم.. واقترابها قدر ميل.. فلولا أن الله قدر ألا



يحترقوا لاحترقوا.. ولا تزال تقترب وتقترب حتى تنصهر أحسامهم.. فتبدأ حلوقهم تقذف الأنفاس الحارة.. وتكاد تحترق الأعناق من العطش.. ويسيل العرق حمما يكاد يسلخ الجلود.. وتشتد حالهم.. ويعظم كريهم.. يقول صلى الله عليه وسلم: " يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم" رواه البخاري.

إنه يومٌ يرى فيه الناس نساءً هالهن تسارع الأحداث وتراكمها.. وما تمالكن الضعيفات أنفسهن، فولّيْنَ عن أطفالهن غير آسفات ولا مودعات، وهو يومٌ يرى الناس نساءً أخريات دكدك الرعب أحشاءهن حتى أسقطن أحمالهن : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلِ حَمْلَهَا ﴾ الحج: ٢ .. وهو يوم يُرى فيه البشرُ أمواجاً متلاطمة لا يلوون على شيء.. كالمطرودين.. كأن العقول زاغت.. والمدارك ضاعت.. فالخلق -هناك- زرافات ووحدانا : ﴿ سُكُنرَىٰ وَمَا هُم بشكري وَلَكِكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ١٠٠ ﴾ الحج: ٢. تخيل لو قمت من نومك على صراخ أهل بيتك.. فانطلقت نحوهم.. أنفاسك تتلاطم.. وجوفك يضطرم.. وفؤادك يرجف.. تذهب مسرعاً إليهم .. تسبق خطواتك الريح.. لا تدري ما الذي أفزعهم حتى صاحوا بأعلى أصواتهم.. فما إن تفتح الباب عليهم.. إلا وتتسمر مكانك مُلجماً يكاد عقلك أن يطيش لما رأيت! حيث

تفاجأت برؤيتهم على حال تفزع وترعب.. تفاجأت

برؤيتهم - صغاراً وكباراً - تغيرت شعورهم فصارت بيضاء لأمر أخافهم وأفزعهم! - لو حصل ذلك الموقف لك ماذا ستصنع؟! إن يوم القيامة أشد وأفظع! إنه يوم فيجَعَلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا ﴿ المرمل: ١٧.

إنه يوم تتصدع فيه الأفئدة، وتتفتت فيه الأكباد، كيف لا وهذا المشهد سيرى عياناً:

حين تلتقي الأم بابنتها.. والأب بولده.. والأخ بأحيه.. وذاك بعد فراق دام — ربما – آلاف الأعوام.. يلتقون إلا أنهم لا يتساءلون.. ولا يقفون لبعضهم عندما يتواجهون..

فربَّ أَخٍ ينظر لك نظرة خاطفة ثم يغدو.. ولربما الرتطمت الأكتاف بالأكتاف ولم تحدثه نفسه أن يسأل



عن أحوالك. كأنه لا يعرفك أولم يلقك في حياته أبداً.. وأنتم الذين مضت بكم سنوات الدنيا في ظل بيت واحد. تجتمعون على طعام واحد. وتضاحكتم في مجلس واحد. لكن الآن. الكل مشغول بنفسه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُ الْمَرَةُ مِنْ أَخِهِ اللَّهُ وَأَمِهِ وَأَمِهِ وَأَمِهِ وَأَمِهِ وَصَحِبَلِهِ وَبَنِيهِ اللَّهُ الْمَرِي مِنْهُمْ يَوْمَهِذِ مَنْ أَخِهِ اللَّهُ مَنْ أَخِهِ اللَّهُ عَبِس: ٣٤ - ٣٧.

سمى الله ذلك اليوم بيوم التناد لكثرة النداءات التي فيه، ومنها مناداة الخلق بعضهم بعضاً: القريب يتذكر قريبه فيرفع صوته من بين أصوات الحشر كله منادياً قريبه ولكن أبى له من مجيب! ورب ملك ينادي حاشيته ليمنعوه أو يدفعوا عنه ولكن ليس في تلك الساعة خدم

ولا حشم! ورب ابن يسمع أمه تناديه باسمه بين الناس لكنه يفر عنها؛ لأن ما لديه من الحسنات لا يكفي أن يعطيها واحدة: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِ ٱلصُّورِ فَلاّ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَهِدِ وَلاَ يَسَاءَلُونَ فَالْ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَهِدِ وَلاَ المؤمنون : ١٠١.

إن الأم -في الدنيا- لو استطاعت أن تنزع سنيناً من عمرها لولدها لنزعت.. ولو استطاعت أن تلملم عافيتها فتحفف بها عرقه الذي يتصبب من المرض لفعلت.. لكن الأحوال تتبدل، والأوضاع تتغير في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

وانظر - أيضاً - إلى منظر من مناظر انقلاب المسلَّمات التي كانت في الدنيا:



إن المجرم -هناك- إذا حُكم عليه بدخول النار يتمني لو استطاع أن يجبذ أولاده واحداً واحداً غير مبالٍ بصراحهم وبكائهم، أو يمسكهم بتلابيبهم -أصغرهم قبل أكبرهم-بلا أدنى رحمة فيسحبهم حتى يقذفهم في النار ..أو يود لو قذف أخاه الذي طالما آنسه لتحطم النار عظامه.. أو يود لو يقدم زوجته فيُنكل بها وهي تستغيث أمامه.. أو يود لو يدفع قبيلته للنار دفعة واحدة غير مراع نسباً وقرباً.. لماذا ولأي شيء كل هذا؟ ليفتدي بمم عن عذاب الله الذي أُعد له، وينجو هو منه: ﴿ يُبَصِّرُونَهُمَّ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لُو يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِيذِ بِبَنِيهِ اللهِ وَصَحِبَتِهِ، وَأَخِيهِ اللهُ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُتُوبِهِ ﴿ إِنَّ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿ اللَّهِ ﴾ المعارج: 1 = 11

مشهد آخر للظالمين يحدثنا القرآن عنه "... مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء، ولا يلتفتون إلى شيء، رافعين رؤوسهم، لا عن إرادة، ولكنها مشدودة، لا يملكون لها حراكاً. يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب، فلا يطرف ولا يرتد إليهم، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية، لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه، أو يتذكرونه، فهي هواء خاوية. هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه، حيث يقفون هذا الموقف، ويعانون هذا الرعب، الذي يرتسم من خلال هذه المقاطع الأربعة، مذهلاً آخذاً بهم كالطائر الصغير في مخالب الباشق الرعيب:



﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيدِ ٱلْأَبْصَنُرُ ﴿ اللَّهُ مُهَطِعِينَ مُقْنِعِي وَأَنْ اللَّهُ مُ مُقَاعِينَ مُقْنِعِي رُءُ وسِمِمْ لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُم ۗ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿ اللَّهِمْ طَرَفُهُم ۗ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِمِ عَلَى اللَّهُمُ طَرَفُهُم ۗ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِمُ طَرَفُهُم ۗ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿ اللَّهُ اللَّ

فالسرعة المهرولة المدفوعة، في الهيئة الشاخصة المكروهة المشدودة، مع القلب المفزع الطائر الخاوي من كل وعي من الإدراك.. كلها تشي بالهول الذي تشخص فيه الأبصار" (في ظلال القرآن (٢١١١/٤)).

ما من أحد يوم القيامة إلا ويمسك الخوف بتلابيب قلبه، ما عدا بعض العباد، هؤلاء كانوا في الدنيا يخشون ربحم فيصلون في السحر، ويصومون الهواجر، ويتصدقون بما تيسر، ويصلون الرحم، ويبرون آباءهم، ويخافون هذا اليوم: فطالما دمعت عيونهم وهم في خلواتهم مع ربحم،



وطالما حزنوا لقلة أعمالهم، ويبست عظامهم لتذكرهم قدوم هذا اليوم العظيم (يوم القيامة)، لهذا فإن الله – عز وجل – لا يجمع عليهم خوفاً ثانياً، قال – صلى الله عليه وسلم –: "قال الله – عز وجل -: وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمّنته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمّنته يوم أجمع فيه عبادي". صحيح الجامع .

ولا تسل عن العباد يوم حملت الأرض والجبال ﴿ فَدُكُنَا دَّكَةَ وَالْمَلَةُ عَلَىٰ اللَّهُ وَتَشْقَقَ وَحِدَةً الله عَن الحاقة: ١٤، يوم يرون السماء تمور وتشقق بصوت رعيب ﴿ فَهِي يُوْمِنِذِ وَاهِيَةٌ اللَّهُ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآبِها وَيَحِمُلُ عَلَىٰ أَرْجَآبِها وَيَحِمُلُ عَلَىٰ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِيذِ مُنِيئةٌ الله الحاقة: ١٦ – ١٧، يوم تتناثر



النجوم وتكور الشمس ويُخسف القمر، وتشتعل البحار نيراناً تضطرم.

نشر الصحف:

ماذا لو وقفت متهماً أمام كاميرات الإعلام يوماً، وأُعلن فيه عن تفاصيل مخازٍ قمت بها ظناً ألا أحد يعلم عنها، وإذا بها اليوم تتلى أمام الملأ، أتبقى لك قوة تحمل قدميك حتى ينتهي نشر هذا الخزي أمامهم أم لا يسعفك الوقت؟!

ثم تخيل العكس:

ماذا لو أعلن في أخبار الإعلام عن تكريمك، وانتشر في المحتمع صيتك، وانصب الثناء عليك، وغبنك سواد



الناس لما حظيت به، تُرى أكنت تندم على مضي أوقاتك في أمر أوصلك إلى ما أنت فيه، في وقت كان الآخرون يسخرون منك؟!

ولله المثل الأعلى..

حين يأتي نشر سجلات العبيد يوم القيامة أمام الملأ، وفيه ما دق وجل من الأعمال؛ يسري في النفوس ما ليس بالخوف بل فوق الخوف! فالكل في ترقب: أيعطى الكتاب بيمينه فيُهنى أم بشماله فلا يعزى ؟! تُنشر الصحف.. وتظهر الحقائق، ويرتفع عباد طالما ازدرتهم النفوس وتجاوزتهم العيون، وينخفض آخرون طالما تشبعت الآذان بسماع أسمائهم التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، نعم.. أليست القيامة خافضة رافعة؟!

أما من استلم كتابه بيمينه فينطلق مسروراً بين صفوف الموقف، لا تكاد تسعه الأرض من الفرح، يتعرقل لسانه من الدهشة.. يكاد أن ينشق صدره من السعادة.. لا يدري بأي تعبير يُعلن بهجته؟ فهو يعلم أنها السعادة الأبدية السرمدية التي طالما أوقف دنياه لها. وها هو يريد أن يطلع الخليقة على ما في كتابه من أعمال صالحة طالما أخفاها عنهم، الآن أوان إظهارها، فينطلق وهو يشير إلى كتابه الذي بيّض وجهه صارحاً فيهم وهم ينظرون إليه فِي غبطة: ﴿ هَاَؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِنْبِيَهُ ﴿ إِنَّ الْمِنْتُ أَنِّ مُلَقِ حِسَابِيَهُ ﴿ ﴾ ﴿ الحاقة: ١٩ ـ ٢٠.

وأما الفريق الآخر.. فما منهم من أحد يستلم كتابه بشماله إلا ويلوم نفسه لوماً لاذعاً.. والحسرة تقضم قلبه.. فيُقرِّع ذاته.. ويسوطها بالتأنيب.. يكاد الندم یکبته فیقضی علیه حین یری کتابه لم یغادر صغیرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. وفي لحظة الاستلام المخزية تلك يسود وجهه ويقول: ﴿ يَلْتَنْنِي لَرْ أُوتَ كِنْبِينَهُ ﴿ أَنَّ كُنْبِينَهُ وَلَرْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ اللهُ ﴾ الحاقة: ٢٥ – ٢٩. والخلق ينظرون إليه، ويستمعون نداءاته تلك، ويرون الخسران قد عثى في وجهه، إذ الكتاب مؤذن بالهلاك والعذاب الذي أوله غل اليدين إلى العنق ثم صلى الجحيم ثم إسلاكه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من أسفله وتخرج من أعلاه.

الحساب:

ثم يبدأ العرض على الله. ولو لم يكن في يوم القيامة إلا هذا العرض لكفي!

فمنهم من يدنيه الله فيستره ويقول له: "أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك. قال الله: سترتما عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته" متفق عليه.

ومنهم من يشدد الله عليه الحساب، فيدقق عليه، ويناقشه في كل ما قام به حتى النظرة الخاطفة والكلمة العابرة، وهؤلاء يقع عليهم من الخزي والمهانة والذل ما لو وزع على أهل الموقف لكفاهم.



ومنهم من يطول حسابهم ويعسر، وهؤلاء كان الناس في الدنيا يظنون بهم خيراً، ويغدقون عليهم الثناء لاعتقادهم قربهم من الله، وكان الناس يحبونهم ويثقون بهم ويقدمونهم لخيريتهم التي لم يكونوا يعلموا أنها خيرية باهتة، فإذا جاء الحساب يُنظر في نياتهم فإذا هم مراؤون، حسبوا أن السرائر لن تبلى، وظنوا أن نياتهم مجهولة في السماء كما هي في الأرض، وغرهم بالله الغرور حتى كُشفوا أمام الناس، وهؤلاء يسحبون على وجوههم حتى يلقوا في النار. وحال هؤلاء حالُ عارِ بلغ الغاية، وحالُ حزي وندامة، فمن يدافع عنهم أمام الشهود العدول من الملائكة والأرض وما عليها بل حتى أعضاء العبد: ﴿ ٱلْيُوْمَ نَخْتِمُ عَلَيْ أَفُوهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ مَن عَضو تلو عضو ولا يملك رداً ولا يسمع الشهادة من عضو تلو عضو ولا يملك رداً ولا إنكاراً ؟!

ومنهم الذين يدخلون الجنة هكذا.. بلا حساب ولا عقاب، وهم سبعون ألفاً كانوا لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون.

الميزان:

ويبدأ الوزن بعد ذلك؛ ليري الله عباده عدله، فتوزن الأعمال: فرب عمل لم يأبه له العبد عمله هكذا ثم تركه وراءه يكون أثقل شيء في الميزان، ورب عمل عقد عليه العبد آمالاً عريضة حتى ظن أنه مهر الجنة فإذا به يكون هباء منثوراً لسوء نية أو دخل لم يبرح القلب. والعباد



حينذاك يرقبون أعمالهم توزن: واحداً واحداً، فمرة يرجح هذا ومرة يرجح ذاك، هكذا حتى يأتي الله بمثاقيل الذر فيزنها لهم : ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَيْرًا يَرَهُ, ﴿ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨.

الحوض:

وحين يبلغ الجهد بالأمم مبلغه، ويشتد الكرب، ويشق بالناس ما هم فيه، ويبلغ بهم العطش غايته، تُحشر كل أمة إلى حوض نبيها، وتحشر هذه الأمة إلى حوض النبي —صلى الله عليه وسلم—، وهو حوض واسع الأرجاء، آنيته عدد نجوم السماء، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، يتوجه الناس إليه يتقدمهم الصالحون والصابرون، حتى إذا قدمت هذه الأمة على الحوض وعرف النبي —



صلى الله عليه وسلم- أناساً منهم يحدث هناك أمر جلل!!

هذا الحدث هو أن يُرد بعض هذه الأمة عن الحوض، فلا يرِدُون، فيقول —صلى الله عليه وسلم—: "رب أصحابي! أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعد" رواه البخاري . فيُفتضح هؤلاء أمام النبي —صلى الله عليه وسلم— وأمته، وهؤلاء هم الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاته.

الشفاعة:

إذا طال الوقوف يوم القيامة، ووصل الكرب ذروته، وأحدقت العظائم بالأمم، يبحث العباد حينها عمن يشفع لهم عند ربهم، حتى يتخلصوا من شدة الحشر ولو



أدى ذلك دخول بعضهم في النار! فيأتون كلهم يسيرون كالسيل الهادر إلى بعض الأنبياء واحداً واحداً، فيعتذر الأنبياء من الناس لأن الله – جل وعلا – قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وهكذا من نبي إلى نبي حتى ينتهي بهم المطاف إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – فيشفع لهم.

حشر الكافرين إلى جهنم:

النار يوم القيامة تعرض أمام العالم، وحينذاك ترى : ﴿ كُلّ النار يوم القيامة تعرض أمام العالم، وحينذاك ترى : ﴿ كُلّ أُمّتِهِ جَائِيةً ﴾ الجاثية: ٢٨ أي على ركبها من الشدة والعظمة... لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل —عليه الصلاة والسلام—، ويقول: نفسي نفسي! لا أسألك اليوم إلا نفسي. وحتى إن عيسى —عليه لا أسألك اليوم إلا نفسي. وحتى إن عيسى —عليه



الصلاة والسلام - ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني!" ابن كثير.

يحشرون إليها جماعات، وعلى وجوههم، فإذا أقبلوا عليها وسمعوا زفيرها تكاد قلوبهم أن تتحول عن مكانها من الفزع، فيندمون ويتحسرون، ومنهم من يسر هذه الندامة، فإذا وقفوا عليها ورأوها عياناً يقولون : ﴿ يَلْيَئْنَا نُرَدُ وَلَا نُكُونَ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ ﴿ الأنعام: ٢٧، ثم يُدفعون فيها فيتساقطون إلى لهبها وشررها المتطاير، إلى أبد الآبدين.

الصراط:

وبعد تطاير الصحف والفصل بين العباد يتوجه الخلق إلى صراط جهنم المنصوب على متنها، فيسبق المؤمنون المنافقين، فيفصل بينهم بسور عظيم يمنع المنافقين من اللحاق بالمؤمنين، هناك.. يتفاجأ المنافقون بالظلمة التي جثمت عليهم فينادون المؤمنين: ﴿ انظُرُونَا نَقَنِسَ مِن نُورِكُمُ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَيسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورِ لَّهُ بَابُ بَاطِنْهُ, فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَلِهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ اللهُ الحديد: ١٣، كل تلك النداءات رجاء قبس من نور وليس النور كله، فما أشد الظلمة عليهم هناك، وقد كانوا يريدون الظلمة للمؤمنين في الدنيا! ويتجه المؤمنون من الأولين والآخرين إلى الصراط، فإذا وصلته تلك الجموع إذ به ممدود على متن جهنم: أحدُّ من السيف، وأدق من الشعر، عليه شوك وكلاليب

تخطف المار لتخر به في جهنم، طوله شهر، وتغشاه الظلمة، مدحضة مزلة.

فإذا وقفوا عليه.. تؤمر البشرية عن بكرة أبيها ببدء المرور عليه في تلك الظلمة..

"فتوهم نفسك -يا أخي- إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، قد لظى سعيرها، وعلا لهيبها، وأنت تمشي أحياناً، وتزحف أخرى" (التذكرة للقرطبي -٣٣).

وكيف بك "إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثاني، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فياله من



منظر ما أفظعه! ومرتقى ما أصعبه! ومجاز ما أضيقه" (التذكرة للقرطبي-٣٣٢).

ذكر ابن كثير أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدين، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا الله أنا واردوها، ولم نخبر أن صادرون عنها: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا

وعند المرور يعطى كل مؤمن من النور بمقدار أعماله الصالحة، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره في إبمام قدمه: يضيء مرة وينطفئ أخرى، فمثل هذا ما شعوره؟ وما مقدار هلعه؟ ومتى سينتهى من المرور وهو على تلك الحال؟!

أما من سعى نورهم بين أيديهم فيبتهلون لله بالدعاء وهم على الصراط: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير.

وفي جهة أخرى من الصراط يكون أشفق الخلق بالخلق - صلى الله عليه وسلم - قائم هناك يدعو: "رب سلّم سلّم" رواه مسلم.

وأما سرعة الخلق حال المرور فمتفاوتة: فأعظمهم من يجاوزه كالبرق، وأقلهم من لا يستطيع السير إلا زحفاً، ومنهم بين ذلك.

فيا فرحة الناجي المسلَّم حين يضع قدمه ناجياً من الصراط تاركاً خلفه جهنم، وقد رأى أثناء مروره من الفظائع ما يبيض له الشعر وتيبس له العظام، ويا بهجة



قلبه وسروره وهو يعلم أن صلواته أنحته برحمة الله، وصدقاته أنقذته بفضل الله.

ويا غبن المفرط الذي نالته خطاطيف جهنم وانقلب فيها على وجهه! فها هو يسقط فيها منكوساً إلى نارٍ تلظى، حتى إذا استقر فيها تذكر أولئك الذين كانوا معه على الصراط وقد نجوا وسعدوا بنجاتهم.

المصير:

وفي ختام ذلك اليوم، يوم الفزع الأكبر، يوم التغابن: تخلو عرصات القيامة من تلك الأمم!

فيا الله! ليت شعري كيف ستكون النهايات؟ ومن الفائز فيهني؟! ومن المحروم فيُعزى؟!



بكى عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فبكت فاطمة فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العبر قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين ممّ بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة مُنصَرَف القوم بين يدي الله: فريق في الجنة وفريق في السعير! موسوعة ابن أبي الدنيا (١٧٧/٣).

قسم يتزاحمون الآن على أبواب الجنة منهم من كان فقيراً صابراً، أو مدفوعاً بالأبواب، أو محتقراً، أو متعففاً، أو تاجراً شاكراً، أو متيقناً بهلاكه لولا كلمة طيبة جرت على لسانه، أو غارقاً في غيّه لولا بره بأمه العجوز، أو محتسباً ناصحاً، أو مُقِلاً من الصالحات لولا ما وقر في قلبه، أو عالماً عاملاً، أو أميراً زاهداً، أو عابداً مخبتاً، فإذا دخلوها

قالوا: ﴿ ٱلْحَكُمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعُدَهُ وَأَوْرَتَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبُوّاً مِنَ الْحَكَمْدُ لِلَّهِ الَّذِهِ الْذِهِ الْذِهِ الْذِهِ الْحَكَمَةُ فَغِعُمَ أَجْرُ ٱلْعَلَمِلِينَ ﴿ ﴾ الزهر: ٧٤. يقول عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: "ليغفرن الله يوم القيامة مغفرةً لم تخطر على قلب بشر" موسوعة ابن أبي الدنيا (٨٣/١).

وأما القسم الآخر فهم الآن على شفير جهنم، تتخللهم شياطينهم، يبدأ نزعهم، فيُقذفون بما ويُصلُون بحرها، ويتجرعون فيها غصص العذاب بكرة وعشية، يصطرخون فيها وينادون خازن النار: ﴿ يَمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكُ قَالَ إِنَّكُم فيها وينادون خازن النار: ﴿ يَمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكُ قَالَ إِنَّكُم مَنَاكُونَ فيها أزماناً طويلةً مَنكِثُونَ فيها أزماناً طويلةً أبديةً سرمديةً لا نهاية لها وهم من عذاب لعذاب أشد — والعياذ بالله —.

ذلك هو الفراق الحق..

هو الفراق الذي تُسح عليه الدموع..

هو الفراق الذي تُنشَد فيه المراثي...

هو الفراق الذي لا أمرّ منه ولا أكره ..

ختاماً :

إنها بعضُ أحداثٍ حتمية الوقوع.. على ذكرها يسلت الران من القلوب، وينفض غبار الهوى.. إنها وقائع تمز الوجدان، وتربت على كتف الغافلين، و ذكرى ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ, قَلْبُ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿ آَلَ اللهُ العرور. طمت فيه الماديات، وألهانا التكاثر، وكرهنا الوعظ، وغرنا بالله الغرور.

إلا أن هناك أعمالاً صالحة تخفف شدة ذلك اليوم فالزمها على الله ينجيك ويرحمك، منها: الحب في الله؛ فالمتحابون يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، والميسر على المعسر، ومن نفس عن مسلم كربة من الكرب، والكاظمون الغيظ إذ يدعوهم الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة يخيرهم من الحور العين ما شاؤوا، ومن شاب في الإسلام فإن له نوراً يوم القيامة، والمتوضئون، وأهل القرآن ... إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة اليسيرة التي تنفع صاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أسأل الله أن ينجينا وإياكم من ذلك اليوم وكربه، وأن يتجاوز عنا تقصيرنا، ويجعلنا ممن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، إن ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه: عبدالله بن سعود آل معدي ۱٤٣٨/١/۷هـ

المراجع:

- ۱ مختصر تفسیر ابن کثیر.
- ٢ القيامة الكبرى أ.د. عمر الأشقر
- ٣ العالم الأخير. د.محمد العريفي
- ٤ حياة السلف بين القول والعمل. أ.أحمد الطيار
 - ه -موقع الدرر السنية.
 - ٦ موقع د. خالد السبت.



هذا الكتاب ونشور في

